مجلة علوم التربية

دورية مغربية متخصصة

ملف خاص:

المخطط الاستعجالي للتربية والتكوين (2009-2011)

العدد الثاني والأربعون- يناير 2010

الإصلاح التربوي
تدقيق المناهج أولا

د. العربي الهداني

يمر إصلاح التعليم والتربية بمراجعات عميقة و متوازنة و شاملة تعني جوانب مختلفة لمنظومة التربية و التكوين. و يشكل إدخال المفاهيم و التقنيات و المنهجيات الحديثة المتطورة في العلم التربوي والعلوم الأخرى أمرا لا مناص منه لتحقيق الأغراض المرغوب فيها في العصر الراهن. يزود علم التدبير المنظومة التربوية بأدوات ومنهجيات تقدم خدمة جليلة على مستوى إعادة النظر في مكوناتها وسيرها ونتائجها. في هذا الإطار، نطرح مفهوم التدقيق أو التفحيص، (Audit[1]) محاولين تطبيقه على المناهج في وقت يتداول فيه موضوع مراجعة المناهج في أفق تجديدها استجابة للإصلاحات التربوية.

تتوقف مراجعة المناهج بقصد ملائمتها مع متطلبات التطور و مقتضيات التوجهات في السياسة التربوية على فهم عميق و مفصل للواقع و دراية بطرق معالجة إجرائية، يفضي تطبيقها إلى فعل تصحيحي قائم على رؤية شاملة و دقيقة و واضحة. يشكل التدقيق المنهج الكفيل بالاستجابة إلى هذا المطلب. فهو يعتمد طرق علمية وتقنيات متطورة و مناسبة لجمع البيانات و يؤسس بناء عليها توصيات ذات طبيعة إجرائية لتقويم الاعوجاج.

1. ماهية التدقيق

عند الحديث عن التدقيق في ميدان التربية، يطرح تساؤل حول قيمته المضافة في ميدان تتزاحم فيه المفاهيم التربوية بشكل كبير؟ و هل التدقيق مفهوم حديث يتميز عن ما هو متوافر من مفاهيم قريبة من معناه؟ سنتطرق فيما يأتي، بنوع من الاقتضاب، إلى حيثيات ظهور التدقيق و إلى تعريف المفهوم و بعض المواقف اتجاهه.

● ظهور التدقيق

يرى لوبتيرف و دبوي و فيالي أن التدقيق استعمل أولا في مهام مراقبة الحسابات و تدبير المقاولة. ارتبط ظهور التدقيق بميدان تقني محض. في عقد السبعينيات من القرن العشرين، تمت استعارته ليطلق على الدراسة النقدية لأنظمة التكوين المهني. تتمثل هذه الدراسة في إعداد قرارات حول إعادة التمركز على الأهداف الملائمة أو للإعداد من اجل البحث عن فعالية كبيرة و الإشارة إلى شروط تطبيق التحولات المرسومة[2]. بعد ذلك انتشر التدقيق في مجالات متنوعة مؤكدا أهميته في البحث عن فعالية عالية بواسطة دراسة نقدية منتظمة.

استعمل التدقيق كدراسة نقدية تنخرط في سياق نظام المنشأة[3]. كما كان تدبيره يتم من طرف الفاعلين الذين يسيرون المنشأة و يلجأ إليه بشكل مستمر.

تطور استعمال التدقيق من هذا الوضع إلى وضع آخر: أصبح يستعمل من طرف هيئة خارجية ذات خبرة في المجال، تتدخل بطلب من الإدارة العليا و تستعمل منهجا علميا تخرج بنتائج حول الوضع الواقعي وتقدم توصيات؛ كل هذا من أجل تحقيق ترشيد شامل للوضع القائم.

● علاقة التدقيق بالمفاهيم الأخرى

التدقيق و التقييم: يختلف التدقيق عن التقييم بكونه يبحث في شروط التطبيق للإجراءات التصحيحية و تحقيق الأهداف الواضحة. يكتفي التقييم بإصدار أحكام قيمة دون أن يعمد إلى تصحيحات بناء على معايير.

التدقيق و المراجعة: في التدقيق، تسبق المراجعة الدراسة التشخيصة و المعرفة بالإمكانيات و المشاكل و وضع شروط النجاح.

التدقيق و المراقبة أو التفتيش: المراقبة أو التفتيش هي عملية بحث تقارن بين معيار و وضع قائم. أما التدقيق فهي عملية تتضمن الدراسة العميقة للأهداف و للموارد و تشخيص المشاكل وتحديد مكامن القوة و وضع تصورات للتدابير وشروط تحقيق الأهداف.

● تعريف التدقيق

تختلف التعارف المقدمة لمنهجية التدقيق حسب الموضوع الذي تتناوله بالدرس النقدي، لكنها تلتقي فيما بينها في عناصر مهمة. في موقع اليكتروني، يعرف التدقيق بأنه عملية / سيرورة منهجية مستقلة و مبنية على وثائق تمكن من جمع البيانات الموضوعية من أجل معرفة إلى أية حد تستجيب المقتضيات إلى المرجعيات المتعلقة بالموضوع[4]. حسب لوبتيرف و دبوي و فيالي، تدقيق التكوين هو «فحص (بحث)

منتظم، انطلاقا من مرجع للمؤشرات (critères) الواضحة، لنظام التكوين (مخطط، فعل أو عدة) ، و لنتائجها و لآثارها ، من اجل تحديد المشاكل التي تظهر و أخذ القرارات المناسبة لمعالجتها»[5]. يرى رايموند فاتيي، أن التدقيق الاجتماعي هو « أداة للقيادة و التدبير و هو طريقة للملاحظة، التي، على شاكلة التدقيق المالي أو المحساباتي، في ميدان ما، تتجه إلى قياس و تقييم القدرة التي تمتلكها المقاولة أو المنظمة لضبط أو التحكم في المشاكل الإنسانية أو الاجتماعية التي تضعها البيئة أمامها، و القدرة على تدبير المشاكل التي تظهر بداخلها نتيجة توظيف اشخصا ضروريين لنشاطها»[6]. يقول الان كوريت أن مهمة التدقيق الاجتماعي تحليل كل عامل مخاطرة و اقتراح التوصيات الكفيلة بتقويضها[7].

من خلال تعريفات متنوعة نستخرج المفردات المكونة لهذه المنهجية كالأتي:

ـ التدقيق أداة للقيادة و التدبير : يستعمل التدقيق من اجل صياغة رؤية شامل توظف من طرف الأجهزة القيادية لتوجيه الأعمال و تدبيرها بفعالية و بجودة عالية.

ـ التدقيق طريقة مستقلة و استقرائية للملاحظة و التحليل : يعني أن التدقيق لا يقف عند التشخيص و التوصيف و إنما يتجاوزها لتحليل الواقع و الوقوف على مكامن القوة و نقط الضعف و المشاكل وتحديد طبيعتها.

ـ التدقيق طريقة تنطلق من مؤشرات و معايير للمقارنة بين المرغوب فيه و الواقع الملموس.

ـ يهدف التدقيق إلى تقدير و تقييم القدرات الكفيلة بالتحكم في المشاكل: يعمل التدقيق على تحديد القدرات و الشروط الكفيلة ببلوغ الأهداف.

ـ التدقيق طريقة تروم بناء اقتراحات (توصيات) : يتضمن التدقيق هدفا مهما يتمثل في بلورة إجراءات كحلول للوصول إلى الغايات المرسومة.

ـ التدقيق طريقة تقوم على منهجية و تقنيات: توظف في التدقيق منهجية و تستعمل تقنيات مناسبة.

يظهر من خلال ما سبق أن التدقيق هو محاولة تطبيق المنهج العلمي لمعالجة قضايا عملية إجرائية بقصد تصحيحها.

- **المواقف اتجاه التدقيق**

المواقف الايجابية

يقف وراء المواقف الراضية بالتدقيق نظرة ايجابية اتجاهه. تقبل الإدارة العليا غالبا بمنهجية التدقيق داخل المنظمات الحديثة لتصحيح المسار و تحقيق الإقلاع من جديد. فهو إذن يعتبر فرصة سانحة للخروج من الوضع المتأزم و الانطلاق في تقدم جديد. يعتبر كذلك التدقيق فرصة للتطوير الجماعي و الفردي من خلال مراجعة الذات. يظهر هذا الأمر جليا خصوصا عندما يشارك الأفراد في عملية التدقيق.

المواقف السلبية

يبني بعض الأفراد مواقفهم الرافضة اتجاه التدقيق نتيجة تمثلاتهم السلبية لهذه العملية. حيث ينظرون إليها باعتبارها نشاط للرقابة. فالمدقق أو القائم بعملية التدقيق يعتبر، حسب هؤلاء، مراقب مثله مثل المراقب المالي أو الجبائي أو جاسوس علني[8]. يرفضه البعض لكون التدقيق يمنح سلطة لهيئة أجنبية عنهم تمارس عليهم بناء على فرضية وقوعهم في الخطأ. بمعنى انه يتم القيام بالتدقيق في حالة اتهام و ريب. كما قد يجد معارضة نتيجة استعماله لأدوات لا يمتلكها الأفراد العاملين، مما يشكك في قدراتهم و خبرتهم المهنية، و من ثم يبررون رفضهم له بعدم تضمنه لقيمة إضافية.

2. تدقيق المناهج

بعد بسط مفهوم التدقيق باقتضاب مركز، تحتوي الفقرة المقبلة على محاولة لفهم كيفية تطبيق التدقيق على المناهج. بداية، لماذا تدقيق المناهج؟ ثم ماذا يعني تدقيق المناهج؟ و أخيرا، تحت عنواني أنواع تدقيق المناهج و محاور تدقيق المناهج، سنعلم على تقديم عناصر لماهية تطبيق التدقيق على المناهج.

• لماذا تدقيق المناهج؟

تتجلى مهمة تدقيق المناهج في السعي لمعرفة الواقع – واقع المناهج– والتفكير في مواصفاتها في المستقبل. يرتبط التفكير في ما يجب أن تكون عليه المناهج معرفة جيدة و دقيقة بالواقع و في شروط المستقبل من اجل رسم المنهاج المأمول. أسئلة كثيرة تبقى معلقة، البعض منها تقدم لها أجوبة بدون أدلة موضوعية. ما مدى إسهام المناهج في بناء السلوك الايجابي لدى التلميذ؟ هل ضعف جودة المناهج واقع حقيقي و ما نسبة إسهامه في إشكالية التعليم بالمغرب؟ ما أسبابه العميقة؟ ...

عدة عوامل تفسر أهمية اللجوء إلى تدقيق المناهج كخطوة أساسية لأي مشروع يسعى إلى مراجعتها في اتجاه جودتها و من أجل تكييفها مع مقتضيات المرحلة. نذكر بعضا منها نظرا لضيق المجال:

– الوقوف على الوضعية و تشخيصها بشكل موضوعي عوض الاكتفاء بإصدار أحكام عامة غير مؤسسة على دراسة منهجية هادفة.

– يمر البحث عن الجودة من خلال الفهم الدقيق و العميق و الشمولي للجوانب المختلفة للمنهاج و لسيرورة هندسته و للهياكل المكلفة بإدارته و لسير الأعمال.

– يتوقف التوظيف الأمثل للمناهج بمدى الوعي بضرورة استحضار هذا المقتضى في كل سيرورة الهندسة. يتيح التدقيق فرصة فهم مكمن الخلل المتعلق بالتفعيل و التوظيف.

- **ماذا يعني تدقيق المناهج؟**

يتميز التدقيق بكونه لا يقف عند حدود الملاحظات أو التشخيص أو التوصيف، و لا حتى عند حدود التحليل و الدراسة النقدية. و إنما ينطلق من مبتغى تأسيس إجراءات تصحيحية تضمن تحقيق نجاعة عالية. يرى Guy Le Boterf, Paul Dupouy, Francois Viallet أن التدقيق يفضي إلى بلورة اقتراحات تتعلق بقرارات حول إعادة التمركز على الأهداف، و تحسين الفعالية و الجدوى الداخلية و إشارات إلى شروط الانجاز المرتبطة بالتحولات المأمولة.

استنتاجا مما سبق، يعني تدقيق المناهج القيام بجمع البيانات الموضوعية حول وضع المناهج من أجل معرفة إلى أي حد تستجيب مواصفاتها إلى المرجعيات المتعلقة بها. تدقيق المناهج هو عملية بحث منتظم، انطلاقا من مرجعيات كمية و نوعية واضحة و متفق عليها، في وضع المناهج (الهيكلة التنظيمية، نمط القيادة، سير الأعمال، سير المؤسسات، الوثائق المعتمدة، الموارد البشرية، الميزانية، ....)، و في نتائجها وآثارها، بقصد تحديد مكامن الاختلال و فهمها بعمق و تأسيس القرارات المناسبة لتصحيحها عند المراجعة. يوضع التدقيق كأداة للقيادة بين أيدي الإدارة العليا و يستعمل كوسيلة للتدبير و هو طريقة للملاحظة و القياس و التقييم و التحليل لأسباب القوة و لأسباب الضعف في المناهج و اقتراح التوصيات الكفيلة بالرفع من جودتها.

- **أنواع تدقيق المناهج**

- **تدقيق المطابقة**

يتمثل تدقيق المطابقة في مراقبة و قياس مدى مطابقة المناهج للمعايير و المرجعيات الأساسية المؤطرة للشأن التربوي. تحدد الوثائق الرسمية المتعلقة بالسياسة التربوية مواصفات المتخرج والفعل التربوي المطلوب و الطرق البيداغوجية المناسبة. يسعى تدقيق المطابقة لمعرفة هل المناهج تترجم بشكل متطابق كبير توجهات الفلسفة التربوية التي تتبناها الدولة.

يعني تدقيق المناهج الجوانب التالية:

- المحتويات المنهاجية؛
- طرق استثمار الوثائق الرسمية و المرجعيات التربوية المعتمدة في صياغة المناهج؛
- طرق إدارة بناء المناهج؛

- تدقيق الفعالية

يبحث تدقيق الفعالية في معرفة مدى تطابق النتائج المتحصل عليها مع الأهداف المرسومة. عندما توضع مواصفات للمنهاج، تعتمد الطريقة الملائمة لبلورته بشكل يستجيب إلى الأهداف الموضوعة، يأتي تدقيق الفعالية إلى قياس و تحديد مدى تحقيق الأهداف المحددة لعملية بناء المنهاج. كما يبحث تدقيق الفعالية في مدى تحقيق الأهداف بتكاليف منخفضة.

يهتم تدقيق الفعالية بالنتائج: يبحث في معرفة مدى استجابة المنهاج مع إنتظارات مختلف الفاعلين. يبحث في النتائج للوقوف على درجة احترامه لدفتر التحملات الذي أنجز من أجل بلورته. فهو يفحص النتيجة المتوصل إليها بناء على المواصفات الموضوعة له. كما يهمه البحث في سيرورة بناء المنهاج: هل طرق بناء المنهاج ملائمة؟ هل يتم اعتماد هيكلة تنظيمية و منهجية عمل ملائمة لتحقيق الأهداف بأقل التكاليف؟

- التدقيق الاستراتيجي

على مستوى التدقيق الاستراتيجي، و إذا جاز الحديث عن استراتيجية منهاجية، يبحث التدقيق في معرفة مدى تطابقها مع الفلسفة و السياسة التربوية المتبعة. يندرج المنهاج في إطار استراتيجية شاملة يشكل عنصرا منها يخدم أهدافها. يفحص التدقيق في التطابق بين المنهاج و مكونات الاستراتيجية التربوية.

يعتبر المنهاج المدرسي قلب العملية التربوية. وكل خلل على مستوى جودته يترتب عنه انعكاسات سلبية مضاعفة على التعلمات التي تسعى منظومة التربية إلى تحقيقها. و من الأكيد أن الميدان الذي يتعين أن تعتبر فيه مقاربة الجودة كخيار استراتيجي هو ميدان المناهج. على هذا مستوى، يرى أ.د. كمال حسن غلاب انه ينهض تطبيق نظام الجودة الشاملة على تقييم و تشخيص للوضع من خلال المحاور التالية:

- مدى ملائمة المناهج لمتطلبات سوق العمل؛
- مدى ملائمة المناهج للبيئة المحلية؛
- مدى ملائمة المناهج و قدرتها على استيعاب متغيرات العصر المذهلة؛
- مدى ملائمة المناهج و قدرتها على تنمية طرق التفكير النقدي العلمي؛
- مدى قدرة المناهج على تبسيط و ترسيخ قيم العلم؛
- مدى قدرة المناهج في مساعدة الطلاب على حل مشكلاتهم الحياتية؛
- مدى قدرة المناهج على تنمية روح الولاء و الانتماء للوطن[9].

المحاور	المؤشرات المحورية	النسب / المقياس (الكمية والنوعية)
نظام بناء المناهج	طريقة بناء المناهج تنظيم الهياكل آليات التدبير...	ـ نسبة المدرسين المئوية المشتركين في انجاز المنهاج ـ تدبير مركز/ تدبير لامركزي ـ شبكة التواصل البينية ـ العلاقات والتواصل الإدارية والتربوية بين الوحدات ـ نمط سير الوحدات القيادية والتربوية ...
عدة بلورة المناهج	الموارد الوثائقية الموارد الإنسانية الميزانية المالية...	ـ الموارد الوستعملة في بلورة المنهاج: التنوع، الثراء، الجودة، المشروعية ... ـ الموارد البشرية العاملة في بناء المناهج: التنوع، الكفاءة، الخبرة، التمثيلية،... ـ حجم الميزانية، هيكلة الميزانية، تطور الميزانية، نسبة الميزانية ...
المناهج كوثيقة تربوية	محتويات المنهاج جودة المحتويات قابلية التوظيف لدى المنهاج...	ـ اللغة، التركيب، المضمون، المفاهيم، ... ـ التكامل، الوضوح، التسلسل، التوازن، ... ـ مدى قابلية المنهاج للتوظيف...
توظيفات المناهج	السياسة الإعلامية آلية التوظيف تقييم الاستعمالات المتنوعة للمنهاج...	ـ اجتماعات، ندوات، اختبارات، صحافة، مذكرات، ... ـ جودة دفتر التحملات، مدى احترامه في التأليف، ... ـ نظام تقييم المناهج: تقييم الاستعمالات المتنوعة...

- **محاور تدقيق المناهج**

المرجعيات

يعرف رايموند فاتي المرجع كالآتي : « في سياق منطق التدقيق، يعتبر المرجع، أو نظام مرجعي، بناء عقلانيا، خارجا عن المدقق الذي يستعمله. لا يتمثل المرجع في موهبة المدقق أو في مكتسباته المعرفية كخبير، و لا يتقلص أو يتمدد ليقابلها. يعرف كل من المدقق و الخاضع للتدقيق المرجع الذي يتم توضيحه و ينبغي أن تكون الفوارق المكتشفة قابلة للفحص من طرف المدقق عندما يرغب في ذلك.»[10]

تسهم جودة المرجعيات المعتمدة في تقييم الواقع في جودة بلوغ أهداف التدقيق. قبل الشروع في انجاز تدقيق المناهج، تعتمد مرجعيات تتميز بخصائص الجودة تفيد أثناء التدقيق في قياس التباعد بين المنتظرات و واقع المناهج. يعتبر البحث في تحديد شبكة مرجعيات متكاملة تعني مختلف جوانب المنهاج أمرا عسيرا و مضنيا، لكنه ضروريا و مهما. تشكل المرجعيات أداة مهمة للتوافق على النتائج و الوقوف على الاختلالات . و كلما تضمنت المراجع مؤشرات واضحة و معايير كمية و نوعية دقيقة، سهلت عملية استعمالها لإدارة التدقيق.

يحتوي النظام المرجعي على عناصر تتيح المقارنة بين الواقع و المأمول. ما هو معياري يسهم في بلورته التوجهات الفلسفية النظرية للتربية و التشخيص الأولي للواقع و من الرؤية المأمولة لما ينبغي أن يكون عليه منهاج المستقبل. على أساس هذه الصورة المرغوب في ترجمتها واقعا ملموسا تم بناء المنهاج و على أساسها يتم قياس فعالية هذا البناء.

الخلاصة

نود في الخلاصة الإشارة إلى ضرورة التفكير في تطوير الكفايات لدى المتدخلين في سيرورة هندسة المنهاج. من بين هذه الكفايات ما له علاقة بقيادة/ إدارة نظام هندسة المنهاج و منها ما يرتبط بالانجاز المباشر و هي الكفايات التربوية؛ هذا التفكير في أفق وضع برامج للتكوين الأساس و التكوين المستمر للمتخصصين في بناء المناهج خصوصا مع التصور الحديث الذي يقتضي مراجعات مستمرة لها[11]. يعتبر التجديد في مجال المناهج أمرا مهما. و إدماج التقنيات الحديثة في التدبير و التربية مطلب يتعين تلبيته في زمن لا حياة للتربية و للتعليم فيه دون تجديد متطور لأهم حلقة في المنظومة التربوية و هي المناهج.

المراجع

ـ أ.د. كمال حسن غلاب، 2008، تطبيق نظام الجودة الشاملة في القطاع التعليمي، جامعة الفيوم، انظر

http://naqaae.org/main/php/vb2/archive/index.php?t-469.html

ـ قطاع التعليم المدرسي – الديوان ـ مارس 2009، قضايا التربية و التكوين في الصحافة الوطنية، نشرة داخلية العدد الثاني.

ـ قطاع التعليم المدرسي – الديوان ـ ابريل ـ ماي 2009 ، قضايا التربية و التكوين في الصحافة الوطنية، نشرة داخلية العدد الثالث.

- Guy Le Boterf, Paul Dupouy, Francois Viallet, 1985, l'Audit de la Formation Professionnelle, 3°édition, Les Editions D'Organisation, France.

- J. M. Peretti, 1990, ressources humaines, vuibert gestion, France.

- http://www.solucom.fr/spip.php?page=liste_mots

management et IT consulting

- John Aglo, Réforme des systèmes éducatifs et réformes curriculaires, situations dans les états africains au Sud du Sahara, rapport final du séminaire-atelier LIBREVILLE, GABON, du 23 au 28 octobre 2000, «Politique de refondation curriculaire, processus de développement curriculaire, réalités locales et défis du XXIe siècle», Commission Nationale Gabonaise pour l'UNESCO, B.I.E.

الهوامش

1 ـ نستعمل في مقالنا التدقيق عوض التفحيص فقط للتخفيف عن القارئ عبء المصطلحات.

2 - GUY LE BOTERF, PAUL DUPOUY, FRANCOIS VIALLET, 1985, l'audit de la formation professionnelle, 3°édition, LES EDITIONS D'ORGANISATION, France , p. 24

3 ـ المقاولة أو المؤسسة أو المنظمة.

4 -http://www.solucom.fr/spip.php?page=liste_mots

management et IT consulting

5 - GUY LE BOTERF, PAUL DUPOUY, FRANCOIS VIALLET, 1985, l'audit de la formation professionnelle, 3°édition, LES EDITIONS D'ORGANISATION, France , p. 24

6 - j.m. peretti, 1990, ressources humaines, vuibert gestion, France, p. 74

7 - ibid

8 - voir Guy Le Boterf, Paul Dupouy, Francois Viallet, 1985, l'Audit de la Formation Professionnelle, 3°édition, Les Editions D'Organisation, France.

9 ـ أ.د. كمال حسن غلاب، 2008، تطبيق نظام الجودة الشاملة في القطاع التعليمي، جامعة الفيوم، انظر http://naqaae.org/main/php/vb2/archive/index.php?t-469.html

10 - - j.m. peretti, 1990, ressources humaines, vuibert gestion, France. p. 92

11 ـ في التقرير النهائي لورشة ليبروفيل، الكابون، من 23 إلى 28 أكتوبر 2008، اللجنة الوطنية الكابونية لليونسكو – المكتب الدولي للتربية، من بين ما أشار إليه John Aglo على مستوى تحديد الحاجات و أنماط التعاون، تكوين خبراء في المناهج و التكوين في تطوير المناهج و تطوير المناهج.